

علمنا فضل الثاني على الاول في سعة الوجود وتقدم الاول على الثاني في عزته وقلته وكونه نادر الوجود ، فان الناس يرون أبدأ في الصياغات فضة قد أجري فيها ذهب وطلايت به ولا يكاد يتفق ان يوجد در قد نثر على بساط أزرق .

وأخرج بعض التشبيهات المركبة من هذا اللون كقول امرئ القيس :
كأنّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العنابُ والحشَفُ البالي

قال : « اعلم أنني قد قدّمت بيان المركب من التشبيه وههنا ما يذكر مع الذي عرفتك انه مركب ويقرن اليه في الكتب وهو على الحقيقة لا يستحق صفة التركيب ولا يشارك الذي مضى ذكره من الوصف الذي له كان تشبيهاً مركباً ، وذلك ان يكون الكلام مقصوراً على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة الا أن احدهما لا يداخل الآخر في الشبه . ومثاله قول امرئ القيس : كأنّ قلوبَ ... وذلك انه لم يقصد إلى ان يجعل بين الشيين اتصالاً وانما أراد اجتماعاً في مكان فقط . كيف ولا يكون لمضامة الرطب من القلوب اليابس هيئة يقصد ذكرها أو يعنى بأمرها ... كيف ولا فائدة لأن ترى العناب مع الحشف أكثر من كونهما في مكان واحد ولو ان اليابسة من القلوب كانت مجموعة ناحية والرطبة كذلك في ناحية اخرى لكان التشبيه بحاله . وكذلك لو فرقت التشبيه فقلت : « كأن الرطب من القلوب عناب وكأن اليابس حشف بال » لم ترَ أحد التشبيهين موقوفاً في الفائدة على الآخر ، وليس كذلك الحكم في المركبات » (١) .

وتحدث عن ضروب التشبيه المركب وذكر أمثلة كثيرة قارن بينها وميّز خصائصها وحلّلها أروع تحليل ، وعن التشبيه المقلوب وهو جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً . (٢)

(١) اسرار البلاغة ص ١٧٦ .

(٢) اسرار البلاغة ص ١٨٧ .